



Volume 7, Issue 8, August 2020, p. 378-393

Istanbul / Türkiye

Article Information

Article Type: Research Article

This article was checked by iThenticate.

Doi Number :<http://dx.doi.org/10.17121/ressjournal.2779>

Article History:

Received

02/07/2020

Received in revised form

13/07/2020

Available online

15/08/2020

CHARACTERISTICS OF THE STYLE IN THE ARAB MAQAMAT BADI AL-ZAMAN AL-HAMDHANI AS A MODEL

Soulaf BOUHARATI¹

Abstract

The shrine is an ancient and ancient literary art by the Arabs that appeared in the fourth century AH in the Abbasid era by Badi Al-Zaman Al-Hamdani, who was one of the greatest writers of his time, the creators. And intelligence. The maqamah after Al-Hamdhani spread widely in the Levant, Morocco and Andalusia, and its topic was no longer restricted to fraudsters, but rather it went to many serious subjects and events, and the writers continued to admire this art until the beginning of the twentieth century. In this context, we decided to go into this field by studying the advantages of the method in the Arab maqamat, "Badi al-Zaman al-Hamdhani as a model", in which the focus is on style and the expressive functions that the use of language and structures perform. This research is an attempt to demonstrate how the advantages of the method are reflected in the positions of Al-Hamdhani, based on the study of the structural structure, the student sentences, and graphic imaging.

Keywords: Style, Arabic Maqam, Syntax, Graphic Representation.

¹Dr.,The Higher School of the Teachers of Asia Jabbar,
Algeria,bouharatisoulef2519@gmail.com

مميزات الأسلوب في المقامات العربية "بديع الزمان الهمذاني أنموذجاً"

بوحراثي سلاف²

الملخص

المقامة فن أدبي قديم وعريق عند العرب ظهر في القرن الرابع الهجري في العصر العباسي على يد بديع الزمان الهمذاني الذي كان من أكبر أدباء عصره المبدعين، وتتضمن المقامة عادة قصة طريفة حول أحد المنكدين وهم فئة من المحتالين الأذكياء البلغاء الذين يبتزون أموال البسطاء من الناس بالحيلة والفتنة والذكاء.

وقد انتشرت المقامة بعد الهمذاني انتشاراً واسعاً في المشرق والمغرب والأندلس ولم يعد موضوعها مقتصرًا على المحتالين وإنما تعدته إلى كثير من المواضيع والأحداث الجادة، وظل الكتاب معجبين بهذا الفن حتى مطلع القرن العشرين.

وفي هذا الإطار ارتأينا أن نخوض في هذا المجال من خلال دراسة مميزات الأسلوب في المقامات العربية "بديع الزمان الهمذاني أنموذجاً"، والذي يتم فيه التركيز على الأسلوب وما يؤديه استعمال اللغة والتراكيب من وظائف تعبيرية، وقد اخترنا المقامتين: البغدادية والخمرية.

وهذا البحث هو محاولة لبيان الكيفية التي تتجلى فيها مميزات الأسلوب في مقامات الهمذاني بالاعتماد على دراسة البنية التركيبية والجمل الطليبية والتصوير البياني.

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، المقامات العربية، البنية التركيبية، التصوير البياني.

المقدمة:

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في توضيح مميزات الأسلوب في المقامات العربية "بديع الزمان الهمذاني أنموذجاً"، وذلك من خلال الاهتمام بالتراكيب ووظائفها التعبيرية وبالاعتماد على فهم طبيعة وخصوصية نص المقامات العربية والنظام اللغوي المستعمل فيها.

أهداف البحث: يهدف إلى التركيز على دراسة البنية التركيبية في مقامات بديع الزمان الهمذاني لبيان أسرارها ومظاهر استعمالها، ويكشف كيفية تحققها في النص من أجل فهم المعنى ومعرفة مميزات الأسلوب فيها.

هيكل البحث: جاء البحث إضافة إلى المقدمة والخاتمة وقائمة المصادر والمراجع على النحو الآتي:

تمهيد حول الأسلوب وفن المقامات العربية.

- 1- مميزات البنية التركيبية في مقامات بديع الزمان الهمذاني (التراكيب الفعلية والأسمية).
- 2- مميزات الجمل الطليبية في مقامات بديع الزمان الهمذاني (أسلوب الاستفهام، أسلوب الأمر، أسلوب النداء).

²الدكتورة، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، الجزائر، bouharatisoulef2519@gmail.com

3- التصوير البياني وفن البديع في مقامات بديع الزمان الهمذاني.

تمهيد: الأسلوب وفن المقامات العربية

أولاً: الأسلوب

إنه لمن الصعوبة تحديد مفهوم الأسلوب لأن هذا المفهوم شأنه شأن أية مقولة من مقولات العلوم الأنسانية التي تتجدد وتتطور من حقبة زمنية إلى أخرى، ومن وجهة نظر إلى أخرى. ولعل من المفيد قبل الخوض في تحديد كلمة أسلوب عند الغربيين أن نشير إليها عند العرب القدماء الذين تواصلت جهودهم وآراءهم النقدية والبلاغية من مجيء الجاحظ (225هـ) وصولاً إلى عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، والذي يعد أول من استعمل كلمة الأسلوب استعمالاً دقيقاً في حديثه عن الاحتذاء حيث قال: "واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له وغرضاً أسلوباً، والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره بمن يقطع أديمه نعلًا على مثال نعل قد قطعها صاحبها، فيقال قد احتذى على مثاله" (عبد القاهر الجرجاني، 2002م، ص 428). ثم ذكر الجرجاني عدة أمثلة عن الاحتذاء كاحتذاء البيهقي بقول الفرزدق:

أترجو ربيع أن تجيء صغارها بخير وقد أعياء ربيعاً كبارها

قال البيهقي:

أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير وقد أعياء كليباً قديمها (عبد القاهر الجرجاني،

2002، ص 28)

نلاحظ من خلال هذا القول مايلي:

- يركز الجرجاني على الاحتذاء الذي يعد ضرباً من الأسلوب أي من النظم.
 - يتحد الجرجاني عن الأسلوب كمصطلح من خلال العرض التطبيقي للاحتذاء.
 - أشار الجرجاني إلى بروز شخصية المبدع في مقابل خفاء شخصية المحنذي، فتغلب شخصية المبدع المبتكر على المؤلف الثاني لأنه يعتمد على خصوصية الأول.
 - أدخل الفرزدق المعنى في حيز أسلوبه المتميز لكن البيهقي المحنذي لأسلوب الفرزدق ضاع عمله لأنه اعتمد على ملامح غيره.
- وقد أعطى الزمخشري (583هـ) لكلمة أسلوب مفاهيم لغوية عديدة منهله قوله في مادة (سلب): "سلبه ثوبه، وهو سلب، وأخذ سلب القليل" (الزمخشري، مادة سلب). وتجاوز الأسلوب العنصر اللفظي فشمّل الفن الأدبي وهذا في قوله: "وسلكت أسلوب فلان: طريقته، وكلامه على أساليب حسنة" (الزمخشري، دت، مادة سلب).
- أما ابن منظور (711هـ) فوضع للأسلوب مفاهيم لغوية أخرى تختلف باختلاف السياقات الواردة فيها، وتجاوز ذلك بإعطاء مفهوماً اصطلاحياً للأسلوب، وهذا في قوله في مادة (سلب): "سلب الشيء يسلبه سلباً... والاستلاب الاختلاس...، ويقال للسطر من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب قال: والأسلوب الطريق والوجه والمذهب يقال أنتم في أسلوب بالضم الفن يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه..." (ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، 1300هـ، ص 455-456).
- من خلال هذا المفهوم الذي أعطاه ابن منظور للأسلوب، نستطيع أن نميز مفهوماً لغوياً يتلخص في السطر من النخيل والطريق الممتد، ومفهوم آخر فنياً يقابل معنى الفن والمذهب والسلوك، فنلاحظ تقارب المعنيين إذا أعدنا مهمة غرس النخيل وتنظيم سطره فناً، والمذهب هو الطريق المعنوي، وهنا يتضح وجه المناسبة بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي لكلمة أسلوب.

ويرجع أدق تحديد للأسلوب على تأخره إلى ابن خلدون (808هـ)، والذي يعده سلوك لأهل صناعة الشعر، بمعنى المنوال أو القالب فيقول في مقدمته: "ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم واعلم أنها عبارة عن المنوال الذي تتسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه..." (ابن خلدون، 2005م، ص 522).

ثم يرجعه إلى صورة ذهنية للتراكيب فيقول: "وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصورها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة" (ابن خلدون، 2005، ص 522).

فبالأسلوب عند ابن خلدون مكتسب من الملكة اللغوية التي يحوزها الأديب، فهو يجمع بين الأسلوب واللغة أو الكفاءة اللغوية كما يسميها تشومسكي.

هذا عن بعض المفاهيم التي وضعها العرب القدماء لكلمة أسلوب، وهي ضعيفة بأصل مادتها سلب، فكلمة أسلوب في اللغة العربية ليست لها أية صلة بكلمة أسلوب اللغات الأوروبية، والتي يرتبط معناها بالأصل اللاتيني فقد قسم الأسلوب في العصور الوسطى إلى مراتب ترتبط بطبيعة المتكلمين، فقبل الأسلوب البسيط، والأسلوب المتوسط، والأسلوب السامي الرفيع، فهو تقسيم يعتمد الوضع الاجتماعي لكل طبقة (هنرش بلث، 1999، ص 55)، فمصطلح الأسلوب لم يدخل اللغات الأوروبية الحديثة إلا في أوائل القرن التاسع عشر، فقد ورد في اللغة الإنجليزية لأول مرة عام 1846، ودخل القاموس الفرنسي كمصطلح أيضا عام 1872. (صلاح فضل، 1985، ص 73).

وتكاد جميع الدراسات الأسلوبية تنطلق من قول كونت دي بوفون (1707-1788) للأسلوب، والذي ذكره في محاضراته عام 1753، حيث ربط الأسلوب بصمة الشخصية فقال: "... وأما الأسلوب فهو الإنسان نفسه (بيير جيرو، دت، ص 22). فالأسلوب عنده بصمة شخصية فلا يمكن أخذه من صاحبه، ولا يمكن نقله لأن ذلك تشويه لملاح الكاتب.

والأسلوب عند بيير جيرو طريقة في الكتابة لكاتب من الكتاب ولجنس من الأجناس ولعصر من العصور. (بيير جيرو، دت، ص 5). ويقول في موضع آخر: "الأسلوب هو الطريقة للتعبير بواسطة اللغة" (بيير جيرو، دت، ص 6)، فهو يربط بين الأسلوب وطريقة تفكير صاحبه.

أما الأسلوب عند شارل بالي (1865-1947): "هو العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر هذه الحساسية". (صلاح فضل، 1985، ص 15).

ركز بالي على الطابع العاطفي للغة وارتباطه بفكرتي القيمة التعبيرية والتوصيل، واللغة عنده تعكس الجانب العملي في الحياة أي علاقة الفكر بالحياة عبر اللغة.

والأسلوب كما عرفه "بروست": "بصمات تحملها صياغة الخطاب، فتكون كالشهادة التي لا تمحي" (نوارى سعودي أبو زيد، 2009، ص 44) وهذا يعني أن قيمة الأسلوب تكمن في "إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إذا غفل عنها شوه النص" (نوارى سعودي أبو زيد، 2009، ص 44).

وبهذا حدثت في مجال الأسلوب ثورة قامت في وجه البلاغة القديمة وقواعدها المعقدة نتيجة ظهور الرومنطيقية التي تؤمن بعبقورية الفرد والتجربة الذاتية الفريدة ومن خلالها اعتبر الأسلوب فردا. ويقوم التفكير الأسلوبي على ثلاث ركائز: المخاطب والمخاطب والخطاب

وهو وثيق الصلة بنظرية الإبلاغ في تعريف الحدث اللساني، وأصول هذه النظرية مستمدة من نظرية الإخبار.

في هذا الإطار تحددت وجهات النظر التي حاولت أن تبلور مفاهيمها الأساسية في الأسلوب، إذ نجد نظرية الأسلوب بوصفه اختياراً استندت إلى العلاقة بين مؤلف النص والنص نفسه، أي بين المؤلف الذي يختار الكلمات والتراكيب، والنص الذي يتشكل من الاختيارات نفسها، بينما استندت نظرية الأسلوب بوصفه مجموعة من الاستجابات التي تصدر عن القارئ بفعل قوة الضغط التي يسلطها النص من خلال سماته الأسلوبية. ويعد هذا الخلاف النظري حول الأسلوب تكاملاً في وجهات النظر، ومهما كان تعريفه فإن القاسم المشترك بين مختلف الآراء هو اعتباره استعمالاً خاصاً للغة، وذلك باستخدام عدد من الإمكانيات، ويبقى الأسلوب الطريقة المستعملة في خلق الأفكار وإبرازها في صورتها المناسبة.

ثانياً: المقامة

المقامة كلمة مشتقة من الفعل قام وهي تتضمن معنى القيام، والمقام والمقامة تعني المجلس والجماعة من الناس، فالمقامة "بضم الميم اسم للمجلس والجماعة من الناس وسميت الأحداث من الكلمة مقامة لأنها تذكر في مجلس واحد ويتجمع فيه الجماعة من الناس لسماعها" (عبد المالك مرتاض، 2007، ص12).

وجاء في لسان العرب لابن منظور: "المقام والمقامة تعني المجلس" (ابن منظور، 1300هـ، ص224). أي أن المقام والمقامة شأنهما شأن المكان والمجلس، فالمقامة اشتقت من قام وهو اسم مكان القيام، ثم توسع فيه وأصبح يطلق على الحكاية والأقصوصة. والمتتبع لمعاني المقامة يجدها قد استخدمت في الشعر العربي الجاهلي بمعنى المجلس، كما ورد في قول زهير بن أبي سلمى:

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأندية ينتابها القول والفعل (يوسف بن سليمان بن سلمى، 2007، ص295).

ومعنى النادي في قول سلامة بن جندل:

يومان يوم مقامات وأندية ويوم سير إلى الأعداء يأويب (عبد المالك مرتاض، 2007، ص22).

وقد وظفت لفظة مقامة في القرآن الكريم بمعان عدة منها:

- المحل من الشهادة في قول الله تعالى: "فاخران يقومان مقامهما" سورة المائدة 107
- المنزلة الرفيعة في قول الله تعالى: "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" سورة الإسراء 79.
- المكان أو المجلس المستقر فيه في قول الله تعالى: "نا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك". سورة النمل 39.
- الإقامة في قوله تعالى: "وإذا قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا" سورة الأحزاب 16.
- المنزلة في الربوبية في قول الله تعالى: "ذلك من خاف مقامي وخاف وعدي". سورة إبراهيم 14.
- وقد استعملت كلمة المقامة عند أكبر الكتاب العرب في البلاغة والنقد ومن بينهم نجد:
- الجاحظ (ت225هـ): وردت لفظة المقامة عند الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" في حديثه عن مقامات الشعراء أي مكانتهم في قوله: "مقامات الشعراء في الجاهلية والإسلام..." (الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، 2005، ص520).

- ابن قتيبة (276هـ): وردت لفظة المقامة عند ابن قتيبة في كتابه "عيون الاخبار" في فصل كامل بعنوان مقامات الزهاد والملوك بمعنى الكلام والخطب (عبد المالك مرتاض، 2007، ص19).
- المسعودي (346هـ): وردت لفظة المقامة عند المسعودي بمعنى الخطب والكلام في آثار علي بن أبي طالب في الخطبة والحكمة فقال: "...ثم ما قاله في بعض مقاماته في معاينة حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته" (عبد المالك مرتاض، 2007، ص22).
- بديع الزمان الهمداني (398هـ): وردت لفظة المقامة عند الهمداني في عدة مقامات منها المقامة الوعظية التي يتحدث فيها عن عيسى بن هشام الذي كان يسير في البصرة حتى وصل إلى قوم يقف فيهم قائم يعظهم، فأعجب ببلاغته فقال لبعض الحاضرين: "من هذا؟ قال: غريب قد طرأ لا أعرف شخصه، فاصبر عليه إلى آخر مقامته، لعله ينبئ بعلامته، فصبرت فقال: زينوا العلم بالعمل، واشكروا القدرة بالعفو، وخذوا الصفو ودعوا الكدر، يغفر الله لي ولكم، ثم أراد الذهاب، فمضيت على أثره، فقلت: من أنت يا شيخ؟ فقال: سبحان الله لم ترض بالحلية غيرتها، حتى عمدت إلى المعرفة فأنكرتها أنا أبو الفتح الإسكندري" (بديع الزمان الهمداني، 2005، ص120).
- فجاء معنى المقامة هنا الموعظة التي يلقيها الواعظ وهو أبو الفتح الإسكندري، ليذكر الناس بأن الدنيا فانية والآخرة هي الباقية.
- ووردت لفظة مقامة في المقامة الأسدية بمعنى الخطبة في قول الهمداني: "حدثنا عيسى بن هشام قال: كان يبلغني من مقامات الإسكندري ومقالاته ما يصغى إليه النفور، وينتفض له العصفور، ويروي لنا من شعرهما يمتزج بأجزاء النفس رقة" (بديع الزمان الهمداني، 2005، ص261).
- فبديع الزمان الهمداني هو من جعل فن المقامة فنا أدبيا قائما بذاته بما تحويه من أقصوصات طريفة، أو حكايات أدبية مشوقة، أو نادرة من النوادر الغربية، حيث قال زكي مبارك: "لم أجد من عرفت من رجال النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان الهمداني إلى هذا الفن" (زكي مبارك، 1991، ص242).
- فالمقامة فن من فنون الأدب العربي النثرية تطورت دلالتها فأصبحت تعني الحديث الذي يلقي على الناس، وهي أقرب إلى القصة القصيرة المسجوعة أو الحكاية الخيالية الأدبية، ينقلها الراوي من صنع خيال الكاتب، ولها بطل إنساني مُكد متسول ظريف له أسلوب بارع وروح خفيفة، يتقمص في كل مرة شخصية، فقد يضحك الناس أو يبكيهم...، وهي تزخر بأناقة اللغة وجمال الأسلوب.
- أسباب ظهور المقامة: نشأت المقامة في القرن الرابع الهجري حيث تطور التسول تطورا كبيرا وأصبح استجداء أو كدية، فلم تعد مجرد السؤال، وأصبحت تتضمن معنى الاحتيال على الناس من أجل أخذ المال عن طريق الاستغلال (عبد المالك مرتاض، 2007، ص29).
- خاصة لما تفشت الأمراض وكثرت، وجد الغلاء وفقد الطعام، ووقع الموت العام، فمن الناس من لم يأكل الطعام حتى أصابه الهلاك.
- وفي ظل هذه الظروف أصبح للكدية رجالها الذين يتجولون في البلاد المختلفة والأمصار يتكسبون بالأدب تارة ويحتالون على الناس تارة أخرى باستعمال الحيلة والأكاذيب وكان شعارهم الغاية تبرر الوسيلة، حتى نسبوا إلى ساسان ابن سقنديار الذي رويت في شأنه أسطورة أن أباه حرمه الملك وجعله لأخته مما جعله يرعى فقيل ساسان الراعي وساسان الكردي، وقيل أيضا أنه كان فقيرا بصيرا في استعطاء الناس والاحتيال فنسبوا إليه. (مصطفى الشكفة، 1959، ص200).
- وفي العصر الرابع الهجري- أيضا- عرف الأدب بالصنعة والتنميق مع مجموعة من الكتاب مثل ابن العميد (360هـ) وأبي إسحاق الصابي (384هـ)، والصاحب بن عباد (385هـ)

وغيرهم، فكانت الغاية من الكتابة الأدبية هي بلاغة اللفظ، والثروة اللفظية، فأصبحت الكتابة مزيجاً من الزخرف اللفظي وانتشرت صناعة التضمين حيث ضمّن الأدباء الأدب ألواناً من المعارف، كما نزع الأدب إلى استعمال السجع والاستعارة ومختلف ضروب البديع، و"أصبح النثر يعتمد على الموسيقى: موسيقى السجع، كما يعتمد على زخرف البديع، بل والتشديد على استخدام السجع، إذ كان الأسلوب العام للكتابة" (عزة شبل محمد، 2009، ص 128).

فقد كانت المقامة وليدة تيارين مختلفين في الأدب العربي، التيار الأول هو الخاص بأدب التسول الذي كثر في القرن الرابع الهجري، وتيار أدب الصنعة والتنميق الذي اشتهر به الأدباء فأصبح كل كاتب "يحاول أن يبلغ من تصنيعه وتجميله لأساليبه ما لم يبلغه كاتب آخر، وكان الأمراء والحكام يعتدون بالكتابة المصنعة التي شاعت في تلك العصور" (عزة شبل محمد، 2009، ص 128). فمن هذا المنطلق كانت كتابات تلك الفترة تتميز بالتنميق فانعكست على لغة المقامات العربية.

إشكالية الريادة

على الرغم من أن نشأة المقامة مرتبطة ببديع الزمان الهمداني الذي أفاد من موروث الكدية ومن الموروث الحكائي العربي في إبداع هذا الفن الجديد، إلا أنها مازالت موضع خلاف بين الدارسين، حيث ذهب فريق منهم إلى أن ابن دريد قد سبق بديع الزمان الهمداني، وكذلك ابن فارس، وغيرهم، ويرى الفريق الآخر أن الهمداني هو من أنشأ هذا الفن الجديد إذ يقول عيسى سابا: "ولئن كان بديع الزمان مبدع المقامات فالحريري مجوّدها ومروض جمالها والقابض على ناصيتها، والمخترع لثتى ضروب الكدية والاحتيايل فيها" (مقامات الحريري، 1398/1978م، ص 5) وهو ما أكده الحريري (538هـ) في مقاماته التي اقتدى فيها ببديع الزمان حيث قال: "وبعد فإنه قد جرب ببعض أندية الأدب الذي ركبت في هذا العصر ريحاً، وخبث مصابيحها، ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان. وعلاّمة همدان-رحمه الله تعالى- وعزا إلى أبي الفتح الإسكندري نشأتها وإلى عيسى بن هشام روايتها، وكلاهما مجهول لا يُعرف. ونكرة لا تتعرف، فأشارته حكم، وطاعته غنم. إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع" (مقامات الحريري، 1398/1978م، ص 11). فقد أقر الحريري لبديع الزمان بفضل السبق في إنشاء المقامات العربية.

وقد انتشرت المقامة بعد الهمداني انتشاراً واسعاً في المشرق والمغرب والأندلس ولم يعد موضوعها مقتصرًا على المحتالين وإنما تعدته إلى كثير من المواضيع والأحداث الجادة، فبرع فيها كتاب المقامات مثل الزمخشري، الحسن بن صافي المصري الملقب بملك النحاة، والسرقي وغيرهم.

1- مميزات البنية التركيبية في مقامات بديع الزمان الهمداني (التركيب الفعلية والأسمية):

1- **التركيب الفعلية:** كما هو معلوم فإن الجملة الفعلية هي التي تصدرها فعل غير ناقص أي يكون تاماً، والفعل يدل على حدث فلا بد له من محدث يحدثه، أي لا بد له من فاعل، وهذه التراكيب الفعلية تكون بسيطة ومركبة.

يستخدم الهمداني في المقامتين البغدادية والخرمية الجملة الفعلية قصد الإخبار عن الحدث في الزمن الماضي أو المضارع أو في الأمر، فوردت الجملة الفعلية بسيطة ومركبة مثبتة ومنفية وهي تتوزع وفق الأنماط التالية:

1-1) **الجملة الفعلية البسيطة:** ميّزت الجمل الفعلية البسيطة مقامات بديع الزمان الهمداني وشكّلت ظاهرة أسلوبية بارزة، ويمكن أن نوضحها وفق الأنماط التالية:

النمط الأول: فعل + فاعل + مفعول به + متمم:

ومن أمثلته قول بديع الزمان في المقامة البغدادية:

اشتبهت لأزاد (1)، لعن الله الشيطان (2)، وأبعد النسيان (3) (بديع الزمان الهمداني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، ص72). جاءت هذه التراكيب الفعلية مرتبة حسب الترتيب العادي للجملة الفعلية، فعل وفاعل مستتر ومفعول به في الجملة الأولى، وفعل وفاعل ومفعول به في الجملة الثانية، وفعل وفاعل مستتر ومفعول به في الجملة الثالثة، وظف فيها الهمداني الفعل الماضي، وهو على صيغة: (اشتبهت- اقتعلت)، (لعن- فعل)، (أبعد-أفعل)، أفادت المبالغة في الفعل.

النمط الثاني: فعل +فاعل+مفعول به+ متمم:

ومن أمثلة ذلك قوله في المقامة الخمرية: عدلت ميزان عقلي (بديع الزمان الهمداني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، ص280).

يتحدث الهمداني عن نفسه باستعمال الفعل الماضي (عدلت) فجاء الفاعل على شكل ضمير رفع متحرك (التاء) متصلاً بالفعل، وجاء المفعول به (ميزان) في المرتبة الثالثة الأصلية وقد اتصل به المضاف إليه (عقلي) فترتبت الجملة وفق الترتيب العادي للجملة الفعلية.

النمط الثالث: فعل +فاعل +مفعول به+متمم: من أمثلته قول الهمداني في المقامة البغدادية: مددت يد البدار إلى الصدار (بديع الزمان الهمداني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72). فهي تتكون من فعل وفاعل ومفعول به ومضاف إليه ومتمم يتكون من الجار والمجرور.

وقوله في المقامة الخمرية: اتخذت إخوانا للمقة (بديع الزمان الهمداني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص280)، تتكون الجملة من الفعل (اتخذ) والضمير المتصل المبني في محل رفع فاعل والمفعول به (إخوانا) والجار والمجرور (للمقة).

النمط الرابع: فعل+فاعل +مفعول به+1+مفعول به2

يقول الهمداني في المقامة الخمرية: نسأل الله السلامة (بديع الزمان الهمداني، أبو الفضل أحمد بن الحسن الهمداني ص284).

تعدى الفعل (سأل) إلى مفعولين (الله- السلامة)

النمط الخامس: فعل+فاعل

جاء هذا النمط في المقامة البغدادية في التراكيب الفعلية التالية:

جلس وجلس، جرّد وجرّدت (بديع الزمان الهمداني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص70).

اكتفى الهمداني بذكر الفعل جلس والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره هو عطف عليه الفعل نفسه فاعله ضمير متصل (التاء). وكذلك بالنسبة للفعل جرّد.

النمط السادس: فعل+فاعل+متمم:

برز هذا النمط في المقامة الخمرية ومن أمثلته: فخنس شيطان الصبوة (بديع الزمان الهمداني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص280). ذكر الهمداني الفعل (خنس) ثم الفاعل (شيطان) الذي جاء مضافاً إلى كلمة الصبوة.

النمط السابع: فعل +مفعول به +فاعل:

جاء هذا النمط في بداية المقامتين في قول الهمداني: حدثنا عيسى بن هشام (بديع الزمان الهمداني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72). يفتتح الهمداني كل مقاماته بهذا التركيب الفعلي الذي يتكون من الفعل (حدث) والمفعول به الضمير المتصل بالفعل (نا) الفاعل المتأخر (عيسى بن هشام).

النمط الثامن: فعل+فاعل+متمم+مفعول به+ متمم: ومن أمثلة ذلك قول الهمداني في المقامة البغدادية لما كان يطلب من الشوّاء تحضير الشوّاء لأبي زيد: إنضد عليها أوراق الرقاق (بديع الزمان الهمداني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72).

يتكون هذا التركيب الفعلي من فعل الأمر (أُضِد) والفاعل المستتر تقديره (أنت)، ثم فصل الكاتب بين (الفعل والفاعل) والمفعول به (أوراق) بالجار والمجرور (عليها)، وجاء المضاف إلى المفعول به (الرقاق) في المرتبة الأخيرة. **النمط التاسع: فعل+فاعل+المفعول به جملة:**

ورد هذا النمط في بداية المقامتين في جمل القول وهي كثيرة ومن أمثلتها في المقامة البغدادية: فقال: قد نبت الربيع على دمنته، قال: نشدتك الله، فقلت: إنا لله وأنا إليه راجعون، فقلت: ظفرنا والله بصيد، فقلت: هلم إلى البيت نُصب غداءً، فقلت: أفرز لأبي زيد من هذا الشواء (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72). فقد جاء الفعل قال مع الضمير المستتر وجوبا في محل رفع فاعل والجمل الواقعة مقول القول: (قد نبت الربيع على دمنته) و(نشدتك الله) في محل نصب مفعول به، وكذلك الفعل قلت الذي فاعله: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل والجمل الواقعة مقول القول، (إنا لله وأنا إليه راجعون) و(ظفرنا والله بصيد)، (هلم إلى البيت نُصب غداءً)، (أفرز لأبي زيد من هذا الشواء) في محل نصب مفعول به.

النمط العاشر: فعل+متمم+فاعل:

وظف الهمذاني هذا النمط في المقامة الخمرية ومن أمثلته قوله: نطق عن لسانك الذي يقول، ومضى في إثرها الفؤاد (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72). فصل الهمذاني في التركيب الفعلي البسيط الأول بالجار والمجرور (عن لسانك) بين الفعل (نطق) والفاعل (الذي: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل). وكذلك فصل في التركيب الفعلي الثاني بالجار والمجرور (في إثرها) بين الفعل (مضى) والفاعل (الفؤاد).

1-2) الجملة الفعلية المركبة: هي الجملة التي تكتسي نمطا تركيبيا خاصا، وهي التي تقتزن بأدوات مختلفة، وتساهم في تشكيل الأساليب المختلفة في مقامات الهمذاني، وإضافة معاني جديدة كالتوكيد والنفي والجواب والشرط حيث تقتزن أفعال هذه الجمل بأدوات مختلفة كالحروف، مما يترتب عليه تحديد الزمن بدقة كبيرة، مضافا إليه الزمن النحوي بسياقاته المختلفة، وهي تضيف على التراكيب معان إضافية ويمكن أن نوضحها وفق الأنماط التالية:

النمط الأول: قد+ فعل:

ورد هذا النمط في المقامة البغدادية مرة واحدة في إطار جملة مقول القول مقترنة بالزمن الماضي الذي يطغى استعماله في المقامة، فالكاتب يعبر عن الحدث وانقضائه فقال: قد نبت الربيع على دمنته (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72). فلما دخلت قد على الفعل (نبت) قربت دلالاته من الماضي إلى الحال وهي "من الحروف التي تختص بتوكيد الجملة الفعلية ولا يليها إلا الفعل المتصرف المثبت" (زين كامل الخويسكي، ص190)

وتكرر هذا النمط في المقامة الخمرية مرتين فقط في قول الهمذاني: قد جعلنا الدينار إماما، قد بعنا بحمد الله فقها. دخلت قد على الفعلين الماضيين: (جعلنا) و(بعنا) فأكدت معنى الجملتين. **النمط الثاني: اللام+قد+فعل:** جاء هذا النمط في المقامة الخمرية مرة واحدة لما كان الهمذاني يتحدث عن أبي الفتح الإسكندري في قوله: لقد أسرع في أوبته (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص281). (دخلت (لقد) على الفعل الماضي (أسرع) فأكدته لأنها "تفيد التوكيد مع الفعل الماضي" (محمود أحمد الصغير، 2001، ص545). لذلك فإن الهمذاني يؤكد لنا سرعة توبة أبو الفتح الإسكندري.

النمط الثالث: لما+ فعل:

لم يستعمل الهمذاني هذا النمط في المقامة البغدادية واستعمله في المقامة الخمرية ثلاث مرات مع الفعل الماضي كما يلي: ولما مستنا حالنا تلك دعتنا دواعي الشطارة، فلما أخذنا في السبح ثوب منادي الصبح، ولما حشرج النهار أو كاد نظرنا فإذا برأيات الحانات أمثال النجوم (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص ص 280-281). اقترنت (لما) بالأفعال الماضية: (مستنا، أخذنا، حشرج) وهي اسم شرط غير جازمة تحتاج إلى جملتين فإذا وجدت الأولى وجدت الثانية بالضرورة.

النمط الرابع: التراكيب الفعلية المنفية

لم يستعمل الهمذاني التراكيب المنفية بكثرة لأنه ركّز على التراكيب المثبتة، ومن صورها ما ذكره الهمذاني في المقامة البغدادية:

الصورة الأولى: لم+فعل: لم يعلم أنه وقع (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72).

دخلت (لم) على الفعل المضارع (يعلم) وهي حرف جزم ونفي، فقلبتة ماضياً، عبرت هذه الصيغة المركبة من (لم والفعل) على نفي الحدث في الماضي ويقصد به السوادى الذي نُصب له فخا فوقه فيه.

الصورة الثانية: لا النافية+فعل: لا يئس ولا يئس حتى استوفينا (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72).

جاءت لا النافية مع الفعل المضارع (يئس) فنفت معناه وهو أن أبا زيد لم يبأس لما جلس مع عيسى بن هشام وطلباً تحضير الشواء من الشواء.

2- التراكيب الأسمية: للجملة الأسمية ركنان أساسيان متلازمان تلازماً مطلقاً وهما المبتدأ والخبر.

والتراكيب الأسمية في المقامتين لها أهميتها وميزاتها الأسلوبية وهي قليلة مقارنة مع التراكيب الفعلية التي سيطرت على المقامتين، وهي تشمل التراكيب البسيطة المؤكدة والتراكيب المنسوخة المؤكدة والمنفية، نتناولها فيما يلي:

النمط الأول: التراكيب الأسمية البسيطة (مبتدأ+خبر): والتركيب الاسمي البسيط هو كل تركيب لم يرد ضمنه المسند والمسند إليه جملة، وقد تضاف إليه عناصر أخرى. ومن أمثلة ذلك في المقامة البغدادية:

- أنا ببغداد (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72): أضمّر المسند إليه (أنا) في الجملة الأسمية لأن الهمذاني يتحدث على لساني الراوي عيسى بن هشام الذي يذكر مكان وجوده ببغداد، وجاء الجار والمجرور (ببغداد) متعلقان بخبر محذوف تقديره كائن أو موجود.

وورد التركيب الاسمي الصريح في المقامة الخمرية:

"الليل أخضر الديباج" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص280): ذكر المبتدأ (الليل) في رتبته الأصلية، وذكر بعده الخبر (أخضر) مضافاً إلى الديباج وهي مضاف إليه مجرور بالكسرة.

النمط الثاني: التركيب الاسمي المنسوخ

هو كل تركيب صدر بناسخ حرفي أو فعلي، لم يستخدمه الهمذاني كثيراً ولكننا نجده في بعض التراكيب، ومن أمثلة ذلك قوله في المقامة الخمرية:

-كان لي فيما مضى عقل ودين واستقامة (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص281): دخلت (كان) على الجملة الأسمية التي تتكون من الجار والمجرور (لي) المتعلق بالخبر المحذوف الذي تقديره كائن أو موجود، و اسم كان (عقل) الذي تأخر، فعبرت كان عن الماضي الذي عاش فيه أبو الفتح الإسكندري. الذي يتميز بالعقل والحكمة والدين والاستقامة.

النمط الثالث: التركيب الاسمي المنفي

يقول الهمذاني في المقامة البغدادية:

"ليس معي عقد على نقد، لست بأبي زيد ولكني أبو عبيد" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72): في التركيب الأول دخل الناسخ ليس الذي يفيد النفي على الجملة الاسمية التي تقدم فيها الجار والمجرور المتعلقان بالخبر المحذوف الذي تقديره كائن أو موجود، وتأخر اسمها (عقد) وهي جملة على لسان الراوي عيسى بن هشام الذي دخل بغداد وهو لا يملك النقود.

أما التركيب الثاني فهو على لسان السّوادي الذي التقاه عيسى بن هشام وكان يعتقد انه هو أبو زيد، فأخبر عيسى بن هشام بأنه ليس بأبي زيد ولكنه أبو عبيد، فجاءت الجملة المنسوخة منفية اسمها ضمير متصل بليس (ت) وخبرها محذوف تقديره كائن أو موجود تعلق به الجار والمجرور (بأبي زيد).

2/ ميزات الجمل الطلبية في مقامات بديع الزمان الهمذاني (أسلوب الاستفهام، أسلوب الأمر، أسلوب النداء):

برز في الجمل الطلبية التي استخدمها الهمذاني في المقامتين ثلاثة أساليب وتتمثل فيما يلي: أسلوب الاستفهام: هو واحد من أكثر الأساليب الإنشائية استعمالاً وأهمية، ويراد به طلب الفهم أو معرفة مال هو خارج الذهن (محمد أحمد الصغير، 2001، ص634)، وله أدوات موضوعية وهي الهمزة، أم، هل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى؟، ومتى، وأيان. (السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن غالي 1987 م، ص308).

والاستفهام من أكثر الوظائف اللغوية استعمالاً، لأن الاتصال الكلامي يكاد يكون حواراً بين مستفهم ومجيب والاستفهام طلب الفهم (عبد الرزاق، 1999، ص299).

وقد اعتمد الهمذاني أسلوب الاستفهام في المقامتين وخاصة المقامة البغدادية، حيث يحتل المرتبة الأولى مقارنة مع باقي الأساليب، ومن أمثلة ذلك قوله في المقامة البغدادية عندما سأل عيسى بن هشام السّوادي عن كل أحواله: من أين أقيمت؟ وأين نزلت؟ ومتى وافيت؟... فكيف حال أبيك؟ أشاب كعهدي؟ أم شاب بعدي؟ (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72).

وجاء الاستفهام كذلك في قول الشّواء لأبي زيد لما طلب من ثمن ما أكل: أين ثمن ما أكلت؟... ومتى دعوناك؟ (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72).

أسلوب الأمر: الأمر أسلوب إنشائي يدل على طلب القيام بالفعل، وقد ورد في مقامات الهمذاني في المرتبة الثانية بعد الاستفهام وجاء بصيغة فعل الأمر (افعل) يقول الهمذاني في المقامة البغدادية عندما طلب عيسى بن هشام من الشّواء أن يحضر الشّواء لأبي زيد: "أفرز لأبي زيد من هذا الشّواء ثم زن له من تلك الحلواء، واختر له من تلك الأطباق، وانضد عليها أوراق الرقاق، ورش عليها شيئاً من ماء السمّاق" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72). فجاء أسلوب الأمر عبارة عن طلب عيسى بن هشام من الشّواء أن يحضر لأبي زيد الطعام والحلوى والخبز ليأكل هنيئاً.

أسلوب النداء: للنداء أسلوب خاص بل جملة خاصة اختلفت في شأنها اللغويون، فهي جملة لأنها تفيد معنى كاملاً حين نقف عليها، وهي تتكون من حرف للنداء ومنادى، والجمل المعروفة لا تتكون من حرف واسم فقط ولا بد أن يكون فيها إسناد بين اسم واسم أو بين فعل واسم، لهذا يرى بعض اللغويين المحدثين قبول هذا التركيب على أنه جملة لكنهم يطلقون عليها جملة غير إسنادية، على أن النحو العربي يرى أن الجملة تامة شأنها شأن الجمل الأخرى يتوافر فيها إسناد غير ظاهر، لأن المنادى نوع من المفعول به وهو منصوب بفعل

محذوف تقديره أنادي أو أدعو، وهذا الفعل لا يظهر مطلقاً، وحرف النداء ينوب عنه ويعمل عمله (عبده الراجحي، 1999، ص275).

ونلاحظ أن الهمذاني استخدم أداة النداء (يا) في جميع أساليب النداء، ومن أمثلة ذلك قوله في المقامة البغدادية:

"ثم قلت: يا أبا زيد ما أوجنا إلى ماء يشعشع بالثلج، ليقمع هذه الصّارة، ويفثأ هذه اللقم الحارة، اجلس يا أبا زيد حتى نأتيك بسقاء" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72). يتقن الهمذاني في الأساليب الأنشائية، فعيسى بن هشام ينبه السوادي بضرورة شرب الماء البارد ليقمع حر الطعام وذلك باستعمال النداء للعاقل (يا أبا زيد).

3/التصوير البياني وفن البديع في مقامات بديع الزمان الهمذاني:

إن الإلحاح على فهم أسلوب المقامة ومعرفة خباياها المضمونية يدفعنا إلى البحث عن الجانب البياني والبديعي اللذين اختلفت بهما المقامة البغدادية والمقامة الخمرية، كالتشبيه والكناية والإستعارة، والمقابلة والطباق والسجع والجناس.

3-1) التصوير البياني في مقامات بديع الزمان الهمذاني:

التشبيه: من دقائق التشبيهات مانجده في المقامة البغدادية، حيث يقول الهمذاني: "فانحنى الشوّاء بساطوره، على زبدة تنوره فجعلها كالكلح سحقا، وكالطحن دقا" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72). شبه الهمذاني الزبدة في رقتها وذوبانها على الفرن أو التتور بالكلح في سحقه وبالطحين في دقته.

وجاءت الصورة التشبيهية لدى الهمذاني موافقة لطبيعته الأنسانية، كما أنها تتصل ببيئته الحضارية، كما قال في مقامته الخمرية: "ولما حشرج النهار أو كاد، نظرنا فإذا برايات الحانات أمثال النجوم، في الليل البهيم، فتهادينا بها السراء" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص281). شبه الهمذاني رايات الحانة التي كانت باقية من بعيد بالنجوم المضيئة في الليل الحالك والتي يتهدى بها الناس في الظلام إلى ما يقصدونه.

كما شبه الخمر باللهب الذي يسري في العروق وبرد النسيم في الحلق فقال: "كاللهب في العروق، وكبرد النسيم في الحلق" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص281).

الكناية: لقد عرف البلاغيون القدماء الكناية بأنها كل مافهم من سياق الكلام من غير أن يذكر اسمه صريحا في العبارة، والكناية كما عرفها السكاكي هي: "ترك الصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك" (السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن غالي، 1987، ص250).

تكثر الكناية في مقامات الهمذاني، ومن أمثلتها ما كنى به السوادي عن المدة الزمنية الطويلة لموت أبيه الذي نبت العشب على قبره في المقامة البغدادية: "قد نبت الربيع على دمنته" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص71). والكناية كذلك عن حداثة صنع اللوزينج في قوله: "وليكن ليلى العمر، يومي النشر" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص73).

واستعمل الهمذاني الكناية في المقامة الخمرية في عدة مواضع منها قوله: "فدفعنا إلى ذات شكل وذل، ووشاح منحل" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص28). وهي كناية عن جمال ساقية الخمر، كما تجتمع الكناية والتشبيه في وصفه للخمر على لسان الفتاة الساقية التي تقول: "خمر كريقي في العذوبة واللذاعة والحلاوة، ... كأنا اعتصرها من خدي أجداد جدي" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص282). فهي كناية عن فتنة منظرها، وكناية عن عذوبة ولون الخمر.

فالكناية في المقامتين هي أسلوب من أساليب البيان، ووسيلة من وسائل تقوية المعنى.

الاستعارة: تنتمي الاستعارة إلى المجاز اللغوي وهي تشبيه حذف أحد طرفيه وعلاقتها المشابهة.

وقد استخدم الهمذاني الاستعارة في مقاماته في بعض الأحوال التي يستقيم له فيها الطريق إلى المجازات، ومن أمثلتها قوله في المقامة البغدادية: "ثم أتينا شواء يتقاطر شواءه عرقاً" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72). ذكر الهمذاني المشبه وهو الشواء وحذف المشبه به وهو الإنسان ودل عليه بأحد لوازمه (عرقاً)، فهو يشبه تقاطر الدسم من اللحم المشوي بتقاطر العرق من الإنسان وقت الحر الشديد، فجاء هذا المجاز على سبيل الاستعارة المكنية. ووظف الاستعارة في وصف ساقية الخمر في المقامة الخمرية فيقول: "إذا قتلت أحاطها" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص281). فقد شبه أحاط الساقية في تأثيرها على شارب الخمر بالإنسان القاتل الذي القدرة على قتل الناس فحذف المشبه به وذكر صفة من صفاته وهي (قتلت) على سبيل الاستعارة المكنية.

فالاستعارة في المقامتين ساعدت على بعث الحياة في التعابير الجامدة فزادت المعنى بروزاً وقوة وجمالاً.

3-2) فن البديع في مقامات بديع الزمان الهمذاني:

إن فن البديع وثيق الصلة بالموسيقى التي تنتجها الألفاظ، فالبديع "مهارة في نظم الكلمات، وبراعة في ترتيبها وتنسيقها، ومهما اختلفت أنساقه وتعددت طرقه يجمعها أمر واحد وهو العناية بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع" (إبراهيم أنيس، 1965، ص45). **السجع:** هو توافق فواصل الجمل في الحرف الأخير وأفضله ما كانت فقراته متساوية في الطول.

والسجع من أدوات التتميق البارزة في مقامات الهمذاني، حيث يحتل المرتبة الأولى من حيث نسبة تواتره في المقامتين، حتى أصبح يمثل ميزة أسلوبية خاصة، فاق استخدامها التصوير البياني، فقد أكسب المقامتين روعة وجمالاً مما أضفى عليهما نغمة موسيقية جميلة تطرب لها نفس السامع، وهو يساهم في تشكيل قيم موسيقية تنوب فيه مناب الوزن والقافية في الشعر. ومن أمثلة السجع في المقامة البغدادية الألفاظ التالية: الأزاد-بغداد/ عقد-نقد/ حماره-إزاره/ صيد-زيد/ الشيطان-النسيان/ العهد-البعث/ البدار-الصدار/ غداء-شواء/ أقرب-أطيب/ القرم-اللقم/ الاطباق-الرقاق-السماق/ الحلو-العروق/ العمر-النشر-القشر/ الدهن-اللون/ الصارة-الحارة/ القريد-عبيد.

فالسجع في المقامة البغدادية محسن لفظي متين التركيب بعيد عن التكلف وقع بين الألفاظ المتساوية الفقرات بين جملتين أو ثلاث جمل، وكذلك ما نجد بين جملتين في المقامة الخمرية: سجيح-صحيح/ للناس-الكأس/ /در-حر/ الشطارة-الخمار/ الامام-الكرام/ ترفع-يقطع/ الاردية-الأقفية/ الصبية-القرية/ أوبته-توبته/ نسكه-فسقه/ السراء-غراء/ إماما-لزاما/ العلو-السروج/ خدي-جدي/ الدهور-السرور/ النفس-الشمس/ البرق-الملق/ العروق-الحلو/ ظريف-طريف/ الخلطة-الغبطة/ عرضه-أرضه/ انس-حرص.

الجناس: الجناس من أهم أبواب البديع، ويلعب الجناس دوراً هاماً في لفت انتباه المتلقي، ويحدث في نفسه ميلاً وإصغاءً، فمن شأنه أن يحقق صلة متينة بين المرسل والمرسل إليه ويصير بذلك مولداً من مولدات الوظيفة الانتباهية والتي تحرس على إبقاء التواصل بين طرفي الجهاز التواصلية (عبد السلام المسدي، 1982، ص159).

وإذا عدنا إلى المقامتين نجد أن الجناس قليل نسبياً مقارنة مع السجع، وذلك لأنه يصعب العثور على لفظتين متشابهتين في الأصوات وشكلها، وعددها وترتيبها، ومختلفتين في المعنى في الوقت نفسه. وعلى الرغم من هذا فقد وظف الهمذاني الجناس في المقامة البغدادية

فقال: "أشباب كعهدي أم شباب بعدي" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص71). ورد الجنس التام بين اللفظتين (أشباب وشاب)، فهما يتفقان في الأصوات وشكلها ويختلفان في المعنى، حيث وقع الجنس بين مرحلتين مختلفتين من عمر الإنسان وهما الشباب والشيخوخة.

وكذلك نجد الجنس الناقص بين البدار والصدار في قوله: "ومددت يد البدار إلى الصدار أريد تمزيقه" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72)، فلما أخبر السوادي عيسى بن هشام بموت والده وقد نبت العشب على قبره، فأسرع عيسى بن هشام يريد أن يشق ثوبه فردعه السوادي ومنعه من ذلك. كما نجد الجنس الناقص بين اللفظتين (عرقا ومرقا) فهما متفقتان في الراء والقاف ومختلفتين في العين والميم، وذلك في وصفه للشواء في قوله: "ثم أتينا شواء يتقاطر شواؤه عرقا وتتسائل جودباته مرقا" (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72).

وفي المقامة الخمرية نجد مجموعة من التجنيسات التي يغلب عليها الجنس الناقص كقول الهمذاني: "واجتمع لي في بعض ليالي إخوان الخلوة ذو المعاني الحلوة". جاء الجنس الناقص بين الخلو والخلوة حيث اتفقتا في اللام والواو واختلفتا في الحاء والخاء. والجنس الناقص في قوله: "إن لي شيئا ظريف الطبع، طريف المجون". (بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص281) نلاحظ أن الهمذاني أكثر من استخدام السجع والجناس في المقامتين، وبهذا فقد حققا عدة وظائف أهمها:

- التنبيه على ذات المدلول وعلى صفاته.
- إحداث نوم الانسجام الصوتي الخاص بالمقامات الهمذانية.
- للسجع دور كبير في لفت الأنتباه إلى اللفظ المقصود.
- عبرا عن التقارب الصوتي الموجود بين الألفاظ.

المقابلة: يتناول الهمذاني المقابلة في المقامة البغدادية ليكسبها الوضوح والسلاسة والتأكيد على المعنى وإعطاء الأسلوب العذوبة والجمال، وذلك في قوله: "أشباب كعهدي، أم شباب بعدي" (بديع الزمان الهمذاني أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص71). حيث قابل بين الشباب والشيب. وقوله: "رفيق القشر كثيف الحشو" (بديع الزمان الهمذاني أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص72)، فقد قابل بين الهمذاني بين معنيين هما رقة القشر وكثافة الحشو.

كما نجد مقابلة في المقامة الخمرية بين موقفين متناقضين، موقف الإمام الزاهد وموقف العريبي شارب الخمر، وذلك في قول الهمذاني: "اتفق لي في عنفوان الشبيبة خلق سجيح، ورأي صحيح، فعدلت ميزان عقلي، وعدلت بين جدي وهزلي، واتخذت إخوانا للمقة، وآخرين للنفقة، وجعلت النهار للناس، والليل للكأس" (بديع الزمان الهمذاني أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص280).

الطباق: إذا تأملنا مقامات بديع الزمان الهمذاني نجد الطباق قليل الورد مقارنة مع المحسنات البديعية الأخرى فهو يأتي في المرتبة الأخيرة، وعلى الرغم من هذا فله دوره في بروز أسلوب الهمذاني في المقامتين. ومن أمثلته طباق السلب بين (أراه - لا يراني) في المقامة البغدادية: "ثم خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني" (بديع الزمان الهمذاني أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص73).

ونجد أيضا الطباق بين (جدي - هزلي) وبين (النهار - الليل) في المقامة الخمرية في قوله: "وعدلت بين جدي وهزلي... النهار للناس والليل للكأس" (بديع الزمان الهمذاني أبو الفضل أحمد بن الحسن، 2005، ص280).

خاتمة:

فقد صور الهمذاني الكثير من الأحاسيس باستعماله لمختلف التراكيب الفعلية والأسمية ، والجمل الطلبية التي ميزها أسلوب الاستفهام والأمر والنداء، وكذلك استعماله للتصوير البياني وفن البديع بأسلوب فيه قدرة كبيرة على ملامسة قضايا المجتمع الذي كان يتخبط فيها، وبذلك استطاع بديع الزمان الهمذاني أن يتميز بنظمه ونثره، فله المقامات الفائقة، وله المعاني العالية والأساليب الساحرة التي جعلته يسيطر على النثر في عصره.

المصادر والمراجع

- القران الكريم: 2008، رواية حفص عن عاصم، الآفاق العربية.
- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، ابن منظور، 1300هـ، لسان العرب، ج1، مصر، المطبعة الكبرى ببولاق.
- ابن خلدون، المقدمة، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، 1425هـ/2005م، بيروت، دار الكتاب العربي.
- أنيس، إبراهيم، 1965، موسيقى الشعر، ط3، مصر، مكتبة الأنجلو المصرية. 3.
- جيرو، بيير، دون تاريخ، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، لبنان، مركز الأبحاث القومي.
- الهمذاني، بديع الزمان، 1426هـ/2005م، مقامات بديع الزمان الهمذاني، قدم لها وشرح غوامضها الإمام العلامة الشيخ محمد عبده، ط2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو عثمان عمر بن بحر، الجاحظ، 2005، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، بيروت، لبنان، دار الجيل.
- الزمخشري، أساس البلاغة، دون تاريخ، تحقيق عبد الرحيم محمود، وعرف به أمين الخولي، بيروت، لبنان، دار المعرفة.
- الخويسكي، زين كامل، دون تاريخ، ج2، الجملة الفعلية منفية واستفهامية ومؤكدة (دراسة تطبيقية على شعر المتنبي)، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
- مبارك، زكي، 1991، النثر الفني في القرن الرابع، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، بيروت.
- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن غالي، السكاكي، 1408هـ/1987م، مفتاح العلوم، كتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- فضل، صلاح، 1985، علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ط2، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- مرتاض، عبد المالك، 2007، فن المقامات في الأدب العربي، الجزائر، وزارة الثقافة.
- الجرجاني، عبد القاهر، 1422هـ/2002م، دلائل الإعجاز في علم المعاني، شرحه وقدم له ياسين الأيوبي، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية.
- الراجحي، عبده، 1999، التطبيق النحوي، قناة السويس، مصر، دار المعرفة الجامعية.
- المسدي، عبد السلام، 1982، الأسلوب والأسلوبية، تونس، الدار العربية للكتاب.
- محمد، عزة شبل، 2009، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الشكفة، مصطفى، 1959، بديع الزمان الهمذاني رائد القصة العربية والمقالة الصحفية، مصر، مكتبة القاهرة الحديثة.
- مقامات الحريري، 1398هـ/1978، تقديم عيسى سابا، دار بيروت للنشر، بيروت، مكة المكرمة، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع.

الصغير، محمود أحمد، 2001، الأدوات النحوية في كتب التفسير، دار الفكر المعاصر.
أبو زيد، نواري سعودي، 2009، جدلية الحركة والسكون نحو مقارنة أسلوبية لدلائلية البنى في
الخطاب الشعري عند نزار قباني "الغاضبون نموذجاً"، ط1، العلمة، الجزائر، بيت
الحكمة للنشر والتوزيع.
بليث، هنرش، 1999، البلاغة والأسلوبية، ترجمة محمد العمري، بيروت، لبنان، إفريقيا
الشرق.
بن سلمى، يوسف بن سلمان، 2007، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ج1، الجزائر، وزارة
الثقافة.